

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[214] الأنهار تجري من تحتهم). ولكنهم لمّا استمروا على طريق الطغيان، لم تستطع هذه الأماكن إِنْقاذهم من العقاب الإلهي: (فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين). أفلا ينبغي أن يكون علمهم بمصائر الماضين عبرة لهم، توقفهم من نوم غفلتهم، ومن سكرتهم؟ أليس الذي أهلك السابقين بقادر على أن يهلك هؤلاء أيضاً؟ ها هنا بضع نقاط نلفت إليها الإِنباه: 1 - على الرّغم من أن "قرن" تعني فترة طويلة من الزمن (مئة، أو سبعين أو ثلاثين سنة)، ولكنّها قد تعني أيضاً - كما يقول اللغويون - القوم والجماعة في زمان معين (القرن من الإِقتران بمعنى التقارب، وبالنظر لأنّ أهل العصر الواحد أو العصور المتقاربة قريبون من بعضهم فقد يطلق عليهم وعلى زمانهم اسم القرن). 2 - يتكرر في القرآن القول بأنّ الأماكن المادية الكثيرة تبعث على الغرور والغفلة لدى ضعفاء النفس من الناس كقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (1) لأنّهم بتوفر تلك الأماكن عندهم يرون أنفسهم في غنى عن الله، غافلين عن العناية الإلهية والإمدادات الربانية المغدقة عليهم في كل لحظة وثانية، ولولاها لما استمروا على قيد الحياة. 3 - ليس هذا التحذير مختصاً بعبدة الأصنام، فالقرآن يخاطب - أيضاً - اليوم العالم الصناعي الثري الذي أثملته الأماكن المادية وملأته بالغرور، ويحذره من نسيان الأقوام السابقة وممّا حاق بهم نتيجة ما ارتكبه من ذنوب، وكأنني بالقرآن يقول للمغرورين في عالمنا اليوم: إنّكم ستفقدون كل شيء بانطلاق شرارة حرب عالمية أُخرى، لتعودوا إلى عصر ما قبل التمدن الصناعي اعلموا أنّ سبب تعاسة أولئك لم يكن شيئاً سوى إثمهم وظلمهم واضطهادهم الناس وعدم إيمانهم _____ 1 - العلق، 6 و7.